موضوعة "السأم" في الأدب الروائي

سعد محمد رحيم
قـــــاص

كتّاب كثر جعلوا من (السأم) ثيمة لكتاباتهم الفكرية والإبداعية ، لاسيما أولئك المحسوبين على التيار الوجودي ، أو المهتمين بالأفق الوجودي للحياة الإنسانية ، ذلك أن السأم معضلة وجودية وعلامة وعَرَض لمرض غامض ، يخص الكون النفسي والفكري للإنسان ، ليس من السهل تسميته وحتى تحديده ، يعاني منه مجتمعنا المعاصر ، ويغدو مع غليان الوعي موقفاً من العالم والوجود. وها هو عمر الحمزاوي بطل رواية (الشحاذ) لنجيب محفوظ يستيقظ بعد عماء ربع قرن بوعي يتفتح ليملأه بالتقزز من كل شيء ، وهو الذي تحوّل من ثائر متحمس يهتم بالشأن العام ويفكر بتغيير بلده والعالم إلى محام برجوازي ناجح ، ثري ومستقر بالمعايير المدنية التقليدية ، حيث جعله السأم ، من دون سابق إنذار ، يعتزل عالمه المترف بما فيه عمله وأسرته وأصدقاؤه ، ويستغرق في حالته النفسية المستجدة ، مفكراً بذاته وماضيه.. من يكون وكيف صار في هذا الوضع ، ولماذا؟. فالسأم هو الوجه الآخر للإحساس باللاجدوى ، وبالفتور.. إن العالم في نظر الإنسان الذي تملّكه السأم ، فاتر ، لا طعم له ويبعث على الغثيان. ورواية (الغثيان) لسارتر تكاد تكون مقالة طويلة في هذه الموضوعة ، فبطله غير قادر على المواءمة والتواصل مع محيطه الذي يجده بيئة طاردة ، وقد يتسع هذا المحيط ليكون بمساحة الكون.

تولستوي

ويرتبط السأم بالوعي، بالوعي الذي يدرك مدى عجزه عن زحزحة الأشياء عن مكانها إلى حيث يعتقد أنها يجب أن تكون، أو تغييرها. فحين تهتز بوصلة المرء وتضيع عنده الغاية. حين يصل إلى قناعة بأنه لا يعرف ماذا عليه أن يفعل على وجه التحديد، فإذاك يستحوذ عليه السأم ويطبع حياته بطابعه. وأحياناً يلجأ الإنسان بدافع السأم إلى اتخاذ قرارات خطيرة أو تضييع فرص سانحة قد لا تتكرر في حياته.

والسأم، كما نوهنا، هو إفراز للبيئة الطاردة للإنسان حين يجد هذا الإنسان نفسه غير قادر على التلاؤم معها وكذلك على الهرب منها. ولا يتمكن السأم من الإنسان الذي يشعر بالخطر والتهديد، بل على العكس فقد يلجأ إلى المغامرة وإلى ما يجعله في مرمى الخطر والتهديد كي يغادر رتابة حياته، ويتخلص من سأمه. وهناك من البشر من لا يطيق البقاء في مكان واحد، فتراه دائم الترحال، هذا هو شأن أبطال روايات إبراهيم الكوني، أولئك الذين يجوبون الصحارى، بحثاً عن جنة مفقودة، يعانون التعب والعطش ويوشكون على الموت، وحالما يصلون إلى واحة ما ويأخذون قسطاً من الراحة ويرتوون يعاودون الكرة ثانية، ويمضون ثانية إلى المجهول، متفادين سأم البقاء في مكان واحد حتى وإن كان يوفر لهم مقومات العيش.

عالج ألبرتو مورافيا موضوعة السأم في رواية شهيرة له بهذا الاسم. وكذلك فعل كولن ولسن في بعض من أعماله، أبرزها (ضياع في سوهو). وفي رواية (الغريب) لألبير كامو يصبح السأم منطلقاً قدرياً لأفعال سلبية تتوج بجريمة قتل. أما بطل رواية (كانت السماء زرقاء) لإسماعيل فهد إسماعيل فإنه تحت وطأة السأم لا غيره يقرر الهرب مع عدد من الضباط الفارين إلى خارج العراق إثر انقلاب عسكري على الرغم من أنه ليس من رجال العهد السابق أو العهد اللاحق كما يقول هو. وفي روايات شهيرة مثل (مدام بوفاري) لفلوبير و (آنا كارنينا) لتولستوي يلعب السأم، ومحاولة الخروج من رتابة الحياة، الريفية الضيقة في الرواية الأولى، والبرجوازية الباردة في الرواية الثانية، دوراً كبيراً في تبديل المصائر وتحريك الأقدار. ونرى كلتا الشخصيتين، في الروايتين الآنفتي الذكر، كيف ستدفعان الثمن غالياً، بسبب الموانع الثقيلة التي أطاحت بهما من علياء أحلامهما إلى الأرض الصلدة القاسية للواقع بمواضعاته، وما يبث من عوامل إحباط.

وفي الغالب فإن شخصيات كثراً من هذه الروايات تحمل وعياً حاداً بالواقع يتسم باللامبالاة والتذمر والرفض والسخرية، ويكون سلوكها سلبياً. ذلك أنها تهتم بقضية المعنى في هذا العالم. وإذ يغدو المعنى ملتبساً، أو وهماً لا يقدر على الإمساك به، فلذا تجد نفسها محبطة وذات إرادة واهنة، وغير راضية بالمرة. وذلك هو نموذج المثقف منذ بدايات القرن العشرين.. المثقف الذي يبصر خللاً فادحاً في كيان العالم يعتقد أنه من الصعب أو ربما من المستحيل إصلاحه. ولهذا فإنه سيلجأ إلى المتع العابرة، أو التوحد منطوياً على مرارته الخاصة، وحسه العالي بالتهكم طالما انه غير قادر على أن يغيّر من الأمر شيئاً. وفي رواية (ثرثرة فوق النيل) لنجيب محفوظ نلتقي بشخصيات سلبية منغمسة في اللهو وتعاطي المخدرات، تسخر من نفسها ومن العالم خارج العوّامة التي تلتقي فيها والتي هي مكان عيش لبعضها. نقرأ في الرواية: " التقط من النافضة عقب سيجارة من السجائر التي دخنها أثناء الجلسة، بقي منها الفلتر البرتقالي وعقب أبيض مضغوط فتأملها طويلا ثم أعادها إلى موضعها وسط مجموعة من الهاموش الهالك... وخطر له أن يتسلى بعدّ النجوم ولكن أعوزته الهمة. إذا لم يكن في النجوم من يعنى برصد كوكبنا ودراسة أحوالنا الغريبة فنحن ضائعون... وترى كيف يفسر الراصد مجلسنا الضاحك... سيقول ثمة تجمعات دقيقة تنفث غبارا مما يكثر في الغلاف الجوي للكواكب وتصدر عنها أصوات مبهمة لا يمكن فهمها مادمنا لم نصل بعد إلى معرفة أي فكرة عن تكوينها... ومن العجيب أن هذه التجمعات تختفي لتعود من جديد ويتكرر الحال على ذلك المنوال دون هدف واضح مما يرجح معه الرأي القائل بعدم وجود حياة بالمعنى الصحيح في الأقل.. وحسر الجلباب عن ساقيه المشعرتين وضحك بصوت عال ليرى الراصد ويسمع .. وقال : بل لنا حياة، وقد أوغلنا في الفهم حتى أدركنا اللامعنى وسوف نوغل أكثر وأكثر ولا أحد يستطيع التكهن بما يكون". لا شك في أن هذا الصوت صادر من نفس هائمة، مخدّرة، يعصرها السأم. يطغى السأم حين يفكر الإنسان بانه ليس في مكانه المناسب، وليس في زمانه الملائم، مع التأكيد أنه لا يعرف أيضاً أين هو ذلك المكان المناسب والزمان الملائم. ولعل السأم هو الذي دفع بكيرتز بطل رواية (قلب الظلام) لكونراد، لتقمص دور الإله، إزاء الحشود القبلية المأخوذة بالغريب، وبالسلطة القاهرة، بنمط حياتها البدائي، في ذلك الصقع البعيد، في أحراش إفريقيا.

يخبرنا بطل رواية السأم لمورافيا بأنه تألم دائماً من السأم الذي لا يعني عنده مثلما هو عند الآخرين عكس التسلية، بقدر ما تشير التسلية إلى الشرود والنسيان. ففي بعض مظاهره فإن السأم يشبه التسلية "بما يخلّفه من شرود ونسيان ينتميان طبعاً إلى فئة خاصة جدا" ويقول "إن السأم في نظري هو حقاً نوع من النقص أو عدم التلاؤم أو غياب حس الواقع... ولقد سبق أن لاحظت أن السأم يشوي بصورة خاصة في عدم التواصل . وإذ كنت عاجزاً عن التواصل مع أمي التي كنت مفصولاً عنها كما كنت مفصولا عن أي شيء آخر فقد كنت محمولا على نحو ما أن أقبل سوء التفاهم هذا، وأن أكذب عليها...".

لا ينبع السأم من فراغ.. إنه نتاج وضع اجتماعي، تاريخي. وفي بعض الأوقات يكون حالة نفسية مؤقتة (أو مستديمة)، خاصة بفرد ما، وقد يكون ظاهرة اجتماعية مرتبطة بعوامل تاريخية وبيئية، وإفرازاً لإطار زماني/ مكاني بعينه. لكنه يتخذ بعدا وجودياً ويسم رؤية الفرد إلى العالم بميسمه. ولهذا غدا موضوعة رئيسة، في الرواية المعاصرة، إلى جانب الموضوعات الكبرى التقليدية التي عالجها الروائيون، مثل الحب والجريمة والمغامرة والحرية والموت.

نجيب محفوظ

البير كامو

الملتقى الرابع عشر لكتّاب المغرب العربي في باريس

معرض لتعريف الاوربيين بالمجتمعات العربية

باريس / د. مهدي صالح

عقد في باريس نهاية الشهر الماضي، الملتقى الرابع عشر الذي يطلق عليه، اسم (معرض كتب المغرب العربي الرابع عشر). ويعتبر هذا الملتقى اكبر تظاهرة ثقافية عن المغرب العربي الذي يقع في مكانين: المغرب العربي من الناحية الجغرافية والمغرب العربي ممثلاً بالمهاجرين الذين يسكنون في فرنسا. وتهدف هذه التظاهرة الى تعريف الاوربيين بالمجتمعات العربية من خلال ادبها وكتبها التي تصدر في اماكن مختلفة من العالم. وقد عقدت عدة ندوات تمت خلالها مناقشة بعض المواضيع الساخنة مثل إندماج المهاجرين من المغرب العربي في المجتمع الفرنسي ووضع المرأة ومسألة الشذوذ الجنسي والعولمة إضافة الى مواضيع اخرى. وقد تم إختيار تونس موضوعاً لاجتماع هذا العام وتحدث استاذ العلوم السياسية ومؤسس هذا الملتقى جورج موران قائلا: يجتمع المثقفون من المغرب العربي والمتخصصون بهذه المنطقة في كل عام من شهر شباط ومنذ عام ١٩٩٤، في بلدية باريس كي يتحدثوا عن الادب والمجتمع والسياسة . لقد ولدت فكرة هذا الملتقى بسبب جهل الناس هنا لافكار وثقافات شعب شمال افريقيا. فقد ولدت انا شخصياً في مدينة قسطنطينة وترعرعت فيها قبل ان اغادرها في سن الخامسة والعشرين عندما جئت الى فرنسا لغرض الدراسة.

وكانت صدمتي كبيرة جدا عندما وصلت الى فرنسا واكتشفت ان الناس ينظرون لنا نظرة عنصرية ويعتبرون المواطن المغربي ارهابياً وجاهلاً للقيم الاخلاقية. وفي عام ١٩٨٥، وبمساعدة بعض الاصدقاء المغاربة قمنا بتأسيس جمعية ثقافية تسمى (ضربة شمس) لمحاربة اليمين المتطرف وافكاره المعادية للاجانب ومواقفه العنصرية تجاه العرب. وكان سلاحنا هو جدية الاعلام ونشر الثقافة العربية الاصيلة. وتضم جمعيتنا الآن ٤٠٠ عضو ولها فروع موزعة في الجزائر والمغرب وتونس والبروفانس والألب. ثم قمنا بعد ذلك بتنظيم لقاءات تعقد مرة او مرتين في الشهر وفي مواعيد منتظمة مع كتاب وسينمائيين ومتخصصين. وقد اخذنا بنصيحة صديقي رشيد ميموني واسسنا عام ١٩٩٤ صالوناً للكتاب المغربي للتعريف بادباء المغرب العربي وجمعهم في مكان واحد. وفي البداية كنا نقوم بتنظيم الملتقى ليوم واحد فقط هو السبت وامام العدد المتزايد للجمهور اخذنا ومنذ السنة الثالثة بتنظيم الملتقى ليومين هما السبت والاحد. ومنذ ذلك الوقت اصبح هذا الملتقى حدثاً مهماً في الاوساط الثقافية ووصل عدد الزوار اكثر من ٦٥٠٠ زائر في عام ٢٠٠١، واعتبر ذلك العام منعطفا مهماً في تاريخ الملتقى خصوصاً ان برتران ديلا نوي اصبح رئيسا لبلدية باريس علما انه ولد في تونس وهو شديد التعلق بثقافة المغرب العربي ومن دعاة تعريف المواطن الفرنسي بها. ووجه لنا الدعوة لتنظيم ملتقى المغرب العربي في بناية بلدية مدينة باريس. وكانت تلك الدعوة بمثابة قوة دفع لنا اذ اصبح بمقدرونا مضاعفة عدد الكتاب المدعويين فاصبح عددهم ٢٥٠ كاتباً بدلا من ١٣٠ كما تضاعف عدد الزوار كذلك. ولسوء الحظ ونظراً للاجراءات الامنية الخاصة لم يكن بامكاننا استيعاب مثل هذا العدد من الاشخاص في بناية بلدية مدينة باريس وقررنا تنظيم الملتقى في دور البلدية المتواجدة، في الاحياء الباريسية الاخرى. لكن اعمال الترميم والصيانة جارية على قدم وساق في المكان المخصص لنا في بلدية باريس ونامل في تنظيم الملتقى في داخل البلدية عام ٢٠١٠، أذا تمت اعادة انتخاب برتران ديلا نوي بالطبع. ان نجاح هذا الملتقى يبدو جلياً من خلال نوعية المدعوين الذين هم من مؤلفي الكتب التي تصدر خلال الاثني عشر شهراً التي تسبق انعقاد الملتقى وقد قاموا بالمشاركة في النقاشات التي نظمت على شكل موائد مستديرة ولقاءات ادبية حضرها كتاب مشهورون مثل الكاتب الجزائري رشيد ميموني والمغربي محمد شكري وطاهر بن جلون وشخصيات ادبية اخرى. وما زلت اتذكر وبكل فخر النجاح الذي حققته بتنظيم اجتماع حضره السفير التونسي في ذلك الوقت منصف مرزوقي وهو من اشد المعارضين للنظام في تونس ورئيس الوزراء السابق محمد مزالي والمحامية اليهودية التونسية الاصل جيزيل حليمي. اننا نهدف من خلال هذا الملتقى الى ان نكون بمثابة جسر وحلقة وصل بين مختلف الحساسيات الايديولوجية والسياسية التي تظهر في بلدان المغرب العربي.

محطات ثقافية

إعلان جوائز الرابطة القومية الأمريكية لنقاد الكتب

المدى / وكالات

أُعلنت يوم الخميس جوائز الرابطة القومية لنقاد الكتب في الولايات المتحدة.. وبين الكتب الفائزة رواية خيالية عن رجل بدين يعاني لوعة الحب وكتاب عن تاريخ التجارب الطبية على الأمريكيين السود.

وفاز كتاب "الحياة القصيرة المدهشة لاوسكار واو" للمؤلف جونوت دياز بجائزة الخيال بينما فاز كتاب "التمييز العنصري الطبي..التاريخ الاسود للتجارب الطبية على الامريكيين السود من العهد الاستعماري الى الوقت الحاضر" لمؤلفته هارييت واشنطن بجائزة العمل الواقعي.

وصوت مجلس الرابطة الامريكية التي لا تهدف الى الربح والمؤلف من ٢٤ عضوا على منح الجوائز الخمس لكتب اختيرت من بين تلك التي نشرت في الولايات المتحدة العام الماضي. وتأسست الرابطة القومية لنقاد الكتب عام ١٩٧٤ وتضم حاليا نحو ٧٠٠ مراجع نشط للكتب.

درع الجواهري

للشاعر عبد الخالق كيطان

بغداد / المدى

ضيف نادي الشعر في الاتحاد العام للادباء والكتّاب في العراق الفنان المسرحي والشاعر عبد الخالق كيطان العائد توا من استراليا في جلسته التي اقيمت الاسبوع الماضي. وحضرت الجلسة نخبة من المبدعين ساهموا بكلماتهم في الجلسة.

ومنح اتحاد الادباء والكتاب في هذه المناسبة درع الشاعر الجواهري الى الشاعر المحتفى به.

فيلمان عراقيان في السفارة الألمانية

بغداد / المدى

بعد انقطاع طويل، اقامت السفارة الالمانية في بغداد، وبحضور جمهور غفير نشاطها الثقافي الاول تمثل بعرض فيلم قصير يحمل عنوان "الارض الخراب- بين لندن وبغداد" من اخراج قتيبة الجنابي ثم تبعه عرض لفيلم "غير صالح" "underexposure" للمخرج عدي رشيد.

وبعد "غير صالح" انطلاقة لفيلم عراقي جديد وخلاق طالما اضطهد في عهد صدام، وقد نال دعماً من وزارة الخارجية الالمانية ومعهد غوته الثقافي.

وتأمل السفارة في ان تقدم عروضا لافلام اخرى.

عبد اللطيف اللعبي ضيف ربيع الشعراء بفلسطين

المدى / وكالات

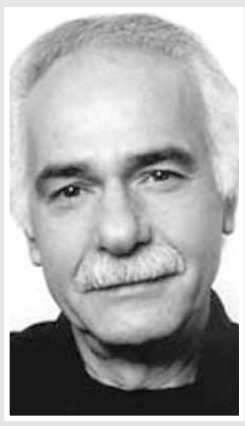

القى الشاعر المغربي عبد اللطيف اللعبي مجموعة من اشعاره في جامعة القدس في ابو ديس متنقلا بين المرأة والحب والقدس، ضمن مشاركته بفعاليات ربيع الشعراء الذي ينظمه المركز الثقافي الالماني في رام الله.

وهذه هي المرة الثانية التي يكون فيها اللعبي في الاراضي الفلسطينية، وكانت المرة الاولى عام ١٩٩٧، بدعوة من اتحاد الكتاب الفلسطينيين والاخيرة بدعوة من المركز الثقافي الالماني الفرنسي وبيت الشعر الفلسطيني.

جلستان لبيت الحكمة العراقي

بغداد / احمد الثائر

اقام بيت الحكمة جلستين الاولى تضمنت محاضرة تضم الدراسات التاريخية بعنوان (دور رجال الدين والعشائر العراقية والطبقة المثقفة في العملية السياسية في العراق للفترة (١٩١٤-١٩٢١)، اقيمت على قاعة ابن النديم في الجامعة المستنصرية صباح يوم الاربعاء ٥ / ٣ / ٢٠٠٨،

وفي اليوم نفسه اقام بيت الحكمة جلسة تضمنت محاضرة لقسم دراسات الترجمة بعنوان (المدرسة العربية في غرناطة تحتفل بيوبيلها الذهبي) واقيمت على قاعة كلية اللغات / جامعة بغداد.